الفكر التكفيري ومناهجه المتطرفة

(دراسة لترسيخ وتكريس فكر الاعتدال والتسامح والتقارب المذهبي)

د. فلاح عبد الحسن هاشم

جامعة البصرة

كلية التربية / قسم علوم القرآن

مقدمة

يهدف البحث إلى تكريس روح الاعتدال والتسامح ونبذ التطرف والإرهاب، من خلال الكشف عن مبادئ كل منهما، سعياً لتشخيص ذلك ومحاولة بناء روح التعايش بين المذاهب الإسلامية تحت مظلة الإسلام بمبادئه العظيمة السامية.

مشكلة البحث

ثمة مرتكزات - قد لا يلتفت لها - ساهمت في انتشار الفكر المتطرف والإرهاب بنحو كبير، وخلق نزاعات طائفية مقيتة راح ضحيتها كثير من الأبرياء، هذه المرتكزات والأسس شكّلت منهجاً قوامه تكفير المسلمين الذين لا يتفقون مع ذلك الفكر، وتكفير غيرهم بطريق أولى، فما هي هذه الأسس والمنطلقات التي كونت هذا المنهج؟ وهل أن إبراز هذه الأسس وإظهارها يساهم في إيجاد حلول أو مقاربة لحلول ما؛ لما تمر به الأمة الإسلامية من عاصفة التكفير والإرهاب؟ وفي ذات الوقت ما هي أسس ومبادئ التسامح والعدل والمحبة والرحمة؟ وهل يساهم ذلك في بناء جسر من التواصل بين الذات والآخر وردم الهوة ونبذ كل ما من شأنه أن يؤسس للقطيعة؟

وقد تكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ثم أربعة مباحث: الأول تضمن لمحة مختصرة عن مناهج التيار التكفيري، والثاني: تضمن بيان المنطلقات الفكرية للتنظيمات الجهادية

التكفيرية، ثم الثالث: وكان في الاعتدال والتسامح والتعايش، وإثبات أن التسامح الديني طريقاً للتعايش، وما يمكن أن يجمع بين المذاهب من مشتركات، وينبذ العنف والإرهاب. ثم خاتمة لأهم نتائج البحث.

الكلمات الدلالية

المنهج التكفيري، التطرف التسامح، الاعتدال.

تمهيد

لا شك في أن ظاهرة التكفير وما يرافقها من العنف والقتل والإرهاب تعدُّ اليوم من أخطر الظواهر التي أضحت لصيقةً بالدين الإسلامي والمسلمين، وقد أحدثتُ شرخاً كبيراً في هذا الدين ومبادئه وقيمه، وجلبت الكثير من المآسي والآلام للأمة الإسلامية. لقد ساهم التيار التكفيري بتكوين صورةٍ بالغةٍ السوء عن الإسلام، وغيب صورته الحقيقية الناصعة حتى أصبح الإسلام مُستهدفاً بروحه ومبادئه السمحة؛ وصار نبيُّ هذا الدين نبياً للإرهاب والعنف بعد أن كان نبيَّ الرحمة والرأفة والرحمة. ولم يعد مثل قوله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وقوله (وبالمؤمنين رؤوف رحيم) إلا أقوالاً لا تطبق لها على أرض الواقع.

ولسنا نبالغ إن قلنا إن الفكر التكفيري يعتبر اليوم من أعظم الابتلاءات والفتن التي يواجهها المسلمون في حاضرهم؛ ومن هنا تبرز الحاجة للاعتدال والتسامح وللتعايش وتعمق اليوم وتتأكد أكثر من أي وقت مضى؛ فالمجتمع الإسلامي اليوم برُمته أصبح في وضعٍ لا يحسدُ عليه، فهو يواجه تحدياتٍ كبيرةً وخطيرةً، خصوصاً على الصعيد الداخلي، وهذه التحديات إذا لم يُوضع لها الحلول المناسبة وبشكلٍ فاعلٍ من أجل التغلب عليها، فإنها سوف تُفضى إلى نتائجٍ مستقبليةٍ وخيمةٍ لا يمكن التكهّن بحجم ضررها.

إنَّ المصلحةَ اليومَ تتحصِرُ في نَبذِ الفكرِ التكفيرِ، وسلوكِ طريقِ التسامحِ والتعايشِ، هذه المصلحةُ التي تقتضيها الحكمةُ والدفعُ بالأحسن؛ وفقاً للمبدأ القرآنيِّ المعروف؛ ومن هنا فقد تشكَّلتُ قناعاتُ راسخةٌ عند كثيرٍ بضرورةِ سلوكِ هذا السبيلِ. بيد أن نبذ التكفير لا يمكن أن يكون من دون دراسة ظاهرة التكفير، ومعرفة أصول هذه الظاهرة، ومناقشتها، ومن ثم معالجة هذه الأصول والركائز بما لا يدع مجالاً لبقاء هذه المرتكزات.

المبحث الأول: لمحة مختصرة عن مناهج التيار التكفيري

ليس من أدنى شك في إنَّ التنظيمات المتطرفة في العصر الراهن كالقاعدة وطالبان وداعش والنصرة وغيرها؛ تركز في أهم أصولها الفكرية على قطبين مهمين، في العالم الإسلامي المعاصر، الأول: يتمثل في فكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت ١٧٩١)؛ والثاني يتمثل في فكر السيد قطب (ت ١٩٦٦).

أما الشيخ ابن عبد الوهاب؛ فهو بحق يعتبر مؤسس هذا الفكر التكفيري المتشنج في العصر الحديث الذي ظهر في شبه الجزيرة العربية؛ ولا يبعد القول بأن دعوة ابن عبد الوهاب تعدُّ أحد العوامل المهمة في الفكر الديني التي أنتجت العنف والقتل والإرهاب. هذه الدعوة التي تقوم على أساس ضرورة العودة لعقيدة السلف، وتصحيح كل ما خالط العقائد من شوائب في ضوء تلك العقيدة السلفية؛ وأنَّ فريضة الجهاد تعتبر ضرورة ومُلزمة ضدَّ المسلمين الذين -كما يزعم الشيخ ابن عبد الوهاب أنَّهم- لا يوجِّدون الله، وكأنَّ الإسلام قد اندثر وعاد الناس إلى الجاهلية الأولى، وأنَّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد بعثه الله تعالى لإنقاذهم من الكفر والضلال.